# من خصائص الشريعة الإسلامية

لما كانت هذه الشريعة الإسلامية آخر الشرائع السماوية، كان لابد أن تكون مميزة بخصائص ومميزات تجعلها قابلة للثبات والاستمرار ومواكبة لحياة الإنسان مهما كان، وفي أي عصر كان وفي أي مكان كان ومن أهم هذه الخصائص ما يلي:.

## أ- الربانيـــــــــة:

والمراد بها أمران هما: ربانية الغاية والوجهة، وربانية المصدر والمنهج.

**1- ربانية الغاية والوجهة(الهدف):** وتنعني أن الإسلام غايته الأخيرة وهدفه البعيد، هو حسن الصلة بالله تبارك وتعالى، والحصول على مرضاته، فهذه هي غاية الإسلام، وبالتالي هي غاية الإنسان، ووجهة الإنسان،ومنتهى أمله،وسعيه،وكدحه في الحياة﴿يَا أَيُّهَا الإنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾ الانشقاق:6، ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ النجم:42.وقوله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ الذاريات: 56

وللإسلام غايات وأهدافا أخرى إنسانية واجتماعية، ولكن عند التأمل، نجد هذه الأهداف في الحقيقة خادمة للهدف الأكبر، وهو مرضاة الله تعالى، وحسن مثوبته، فهذا هو الهدف الرئيسي وغاية الغايات.

فمثلا في الإسلام تشريع المعاملات المقصود منه هو تنظيم حياة الناس حتى يستريحوا، وتخلو حياتهم من الصراع على المتاع الأدنى، ويفرغوا لمعرفة الله تعالى، وعبادته، والسعي في مرضاته،وفيه أيضا جهاد وقتال للأعداء، ولكن الغاية هي: ﴿حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ الأنفال:39 ، وكل ما في الإسلام من تشريع وتوجيه وإرشاد، إنما يقصد إلى إعداد الإنسان ليكون عبدا خالصا لله، لا لأحد سواه ولهذا كان روح الإسلام وجوهره هو التوحيد.

### من آ ثار ربانية الغاية والوجهة في النفس والحياة:

ومما لا ريب فيه أن لهذه الربانية - ربانية الغاية والوجه - فوائد وأثارا جمة في النفس والحياة، يجني الإنسان ثمارها في هذه الدنيا، فضلا عن ثمراتها في الآخرة. وهي ثمار في غاية الأهمية.

**1- معرفة غاية الوجود الإنساني:** إذ المسلم يعرف غاية وجوده ووجهته وان لحياته رسالة وبهذا يحس أن لحياته قيمة ومعنى، ولعيشه طعما ومذاقا، وأنه ليس ذرة تافهة تائهة في الفضاء، ولا مخلوقا سائبا

كالذين جحدوا الله أو شكوا فيه، فلم يعرفوا: لماذا وجدوا؟ ولماذا يعيشون؟ ولماذا يموتون؟ كلا، إنه لا يعيش في تيه ولا يمشي إلى غير غاية، بل يسير على هدى من ربه، وبينة من أمره، واستبانه لمصيره، بعد أن عرف الله وأقر له بالوحدانية ، وهكذا يعيش المسلم في هذه الحياة في سلام ووئام مع نفسه.

**2- سلامة النفس من التمزق والصراع:** إذ المسلم تسلم نفسه من التمزق والصراع الداخلي، والتوزع والانقسام بين مختلف الغايات، وشتى الاتجاهات، فالإسلام اختصر غايات الإنسان في غاية واحدة هي إرضاء الله تعالى، وركز همومه في هم واحد هو العمل على ما يرضيه سبحانه، ولا يريح النفس الإنسانية شيء كما يريحها وحدة غايتها، ووجهتها في الحياة، فتعرف من أين تبدأ، وإلى أين تسير، ومع من تسير.

ولا يشقي الإنسان شيء مثل تناقض غاياته، وتباين اتجاهاته، وتضارب نزعاته، فهو حينا يشرق، وحينا يغرب، وتارة يتجه إلى اليمين، وطورا يتجه إلى اليسار، ومرة يرضى هذا فيغضب ذاك، وذا أرضى ذاك اغضب هذا وهكذا يصبح حائرا بين رضى هذا وغضب ذاك، وكما قال الشاعر

**ومن في الناس يرضى كل نفس وبين هوى النفوس مدى بعيد؟!**

إن عقيدة التوحيد قد منحت المسلم يقينا بأن لا رب إلا الله يخاف ويرجى، ولا إله إلا الله، يجتنب سخطه، ويلتمس رضاه، وبهذا يخرج المسلم كل الأرباب الزائفة من حياته، ويحطم كل الأصنام المادية والمعنوية من قلبه، ويرضي بالله وحده ربا، وعليه يتوكل، وإليه ينيب، وفي فضله يطمع، ومن قوته يستمد، وله يتودد، وإليه يحتكم، وبه يعتصم، ولا يخاف بعد ذلك من شيء ﴿**وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾آل عمران:101.

**3- التحرر من العبودية للأنانية والشهوات:** إذ من ثمرات هذه الربانية أنها حين تستقر في أعماق النفس تحرر الإنسان من العبودية لأنانيته، وشهوات نفسه، ولذات حسه، ومن الخضوع والاستسلام لمطالبه المادية، ورغباته الشخصية، وذلك أن الإنسان "الرباني" يقفه إيمانه بالله وباليوم الآخر موقف الموازنة بين رغبات نفسه، ومتطلبات دينه، بين ما تدفعه إليه شهواته، وما يأمره به ربه، بين ما يمليه عليه الواجب، بين متعة اليوم، وحساب الغد، أو بين لذة عاجلة في دنياه، وحساب عسير ينتظره في أخراه.

وهذه الموازنة والمساءلة جديرة أن تخلع عنه نير العبودية للهوى والشهوات، وأن ترتفع به إلى أفق أعلى من الأنانية، إلى أفق الإنسانية المتحررة التي تتصرف بوعيها وإرادتها، لا بوحي بطنها وفرجها وغريزتها الحيوانية.

## 2- ربانية المصدر والمنهج:

وتعني أن المنهج الذي رسمه الإسلام للوصول إلى غاياته وأهدافه، منهج رباني خالص، موحى به من الله تعالى إلى خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم، لم يأت هذا المنهج نتيجة لإرادة فرد، أو إرادة أسرة، أو إرادة طبقة، أو إرادة حزب، أو إرادة شعب، وإنما جاء نتيجة لإرادة الله، الذي أراد به الهدى والنور، والرحمة لعباده قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ النساء:174،﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يونس:57 .

والإسلام هو المنهج أو المذهب أو النظام الوحيد في العالم، الذي مصدره كلمات الله وحدها، غير محرفة ولا مبدلة ولا مخلوطة بأوهام البشر،وانحرافاتهم، والمناهج أو الأنظمة التي نراها في العالم اليوم ثلاثة وهي:

1.منهج،أو مذهب، أو نظام مدني بشري محض، مصدره التفكير العقلي، أو الفلسفي لفرد، أو جماعة كالشيوعية، والرأسمالية والوجودية...

2. منهج أو مذهب ديني محرف، فهو وإن كان إلهيا في أصله لكن عملت فيه يد التحريف والتبديل فأدخلت فيه ما ليس منه، وحذفت منه ما هو فيه، واختلط فيه كلام الله بكلام البشر، فلم يبق ثمة ثقة بربانية مصدره، وذلك كاليهودية والنصرانية.

3- الإسلام فهو المنهج الفذ الذي سلم مصدره من تدخل البشر، وتحريف البشر، ذلك أن الله تعالى تولى حفظ كتابه، ودستوره الأساسي بنفسه، وهو القرآن المجيد، وأعلن ذلك لنبيه ولأمته فقال:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر:9 .

## من آثار ربانية المصدر والمصدر:

**1- تحقيق العدل:** باعتبار الشريعة ليست من وضع البشر، بل من وضع خالق البشر الذي يتصف بالعدل التام، كان من البديهي أن تكون شريعته كذلك، قال تعالى:﴿**ولا يظلم ر بك أحدا**﴾ الكهف: 49 ، ﴿**إنا الله لا يظلم مثقال ذرة**﴾ النساء: 40 ﴿**وما ربك بظلام للعبيد**﴾ فصلت: 46، ووردت كلمة العدل في القرآن أكثر من عشرين مرة، وكلمة القسط اثني وعشرين مرة مما يؤكد على أهميتهما في الإسلام. كما يعتبر القرآن العدل المثل الأعلى للأنبياء كافّة قال تعالى:﴿ **لقد أرسلنا رسلنا بالبيانات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**﴾ الحديد: 25، ويتجسد مبدأ العدل في الواقع العملي من خلال أساسين هما:

**الأول: المساواة بين البشر:** فقد سوت الشريعة بين الناس جميعا وجعلت أساس التفاضل بينهم الصلاح والتقوى قال تعالى:﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ الحجرات 13

**الثاني: سيادة الشريعة الربانية:** إذ يفترض مبدأ العدل مساواة البشر كافة أمام القانون الإلهي فالكل خاضع لشريعة الله الحاكم والمحكوم، الغني والفقير العالم والجاهل، المؤمن والكافر...

**2- لا خيار للمسلم في قبول أحكام الإسلام:** فمتى تيقن المسلم أن الأوامر والنواهي والتعاليم هي من عند الله خالقه الذي يعلم ما ينفعه وما يضره كان بديهيا أن يتلقاها بالقبول قال تعالى: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**﴾ النساء 65.

**3- خلو معتقدات الإسلام ونظمه من التناقض والجهل والهوى:** إذا استقرينا الشريعة الإسلامية حكما حكما لا نجد فيها خللا ولا تعصبا لجنس أو لون ولا إغفالا لجانب من جوانب الحياة ولا عجب في ذلك لأنها شريعة الله الذي أحسن كل شيء، لكن حين نستعرض المناهج الوضعية والتشريعات البشرية نجد معاني النقص والظلم والهوى ملازمة لها لأنها صادرة من الإنسان الناقص الضعيف.

## ب- الشموليـــــة:

وتعني أن هذه الشريعة الإسلامية جاءت أحكامها ومضامين تعاليمها محتوية لكل مناحي الحياة، وجميعِ شؤون الخَلْق الدنيوية والأخروية مما يدخل ضمن حاجة واهتمام الإنسان، فهي ليست تشريعات مُنزويةً في ركن ضيق ومقصورةً عليه، تتولى علاجه دون غيره، كلا، بل إنها تملِك منظومة متكاملة لكل ما يتعلق بالإنسان والكون والحياة، وكما أنها نظمت علاقة الناس بربهم كذلك نظمت علائقهم ببعضهم البعض، من اقتصاد، وسياسة، واجتماع، وقضاء، وجنايات، وتعليم، وحرب، وسلام، وعلاقتَهم بالبيئة وما خلَق الله فيها من كائنات، وغير خافٍ أن القرآن الكريم وسنة النبي عليه الصلاة والسلام قد تضمنا الحديث عن سائر الأمور المعاشية، وجوانب المعاملات المختلفة بين الناس، ووضعا قواعدها وأصولها؛ كالزواج، والطلاق، والميراث، والجوار، والأطعمة والأشربة، والقضاء، والحُكم، والشورى، والحدود، والمعاهدات، والحروب، والدِّيَات، والقِصاص، والربا، والبيع، والشراء، والكون والبيئة، كل هذا جنبًا إلى جنب مع الحديث عن الصلاة والطهارة والصيام والحج، وسائر الأمور التعبدية، قال تعالى:﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ النحل 89 وقال أيضا ﴿ **مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ الأنعام:38

ومعنى الآيتين أن الله سبحانه لم يترك شيئاً إلّا وبينه للناس، وجعل في هذا الكتاب دلالة عليه إما دلالة مبينة مشروحة، وإما مجملة يتلقى بيانها من الرسول عليه الصلاة والسلام.

### مظاهر الشموليــة:

تظهر شموليّة الشريعة الإسلامية في أربعة مظاهر رئيسية، هي:

**1- شمول الزمان**: الإسلام هو رسالة كل الأزمنة فهو الرسالة الخاتمة الخالدة حتى قيام الساعة وهو رسالة الماضي البعيد إذ هو جوهر دعوة كل نبي قال الله سبحانه وتعالى:﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ**﴾ **الأنبياء 25** فقد كان أنبياء الله ومن تبعهم مسلمين، وتبيّن

ذلك فيما جاءت به الرسالات السماوية من أصول كلية ومقاصد موحّدة مع الإسلام بالرغم من اختلاف الحقب الزمنية التي جاءت بها.

**2- شمول المكان( العالمية):** بعث الله عزّ وجّل رسوله صلى الله عليه وسلم حاملاً الرسالة الإسلامية لتشمل كافة أرجاء الأرض دون استثناء؛ إذ لم يقتصر انتشارها على منطقة جغرافية معينة، فالشريعة ليست لإقليم معين من الأرض:﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء: 107

**3- شمول الإنسان:** الشريعة الإسلامية جاءت لكافة الشعوب وعامة الناس دون تفريق وليست تشريعا لجنس خاص من البشر بل هي للإنسان بغض النظر عن لونه أو جنسه أو لغته أو أرضه... فلا عنصرية ولا عصبية وقد بين الله عز وجل هذه الحقيقة في أكثر من آية من ذلك قوله تعالى:﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ الأعراف: 158 ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ سبأ:28.

وهي شاملة أيضا للكيان الإنساني بكافة أبعاده، حيث تركز على الجوانب العقلية والروحية والجسدية للإنسان، كما شملت التعاليم الإسلامية كافة مراحل حياة الإنسان بدءاً من كونه جنيناً في رحم أمه وإذ وهو رضيع إلى حين يصبح شابا يافعا إلى أرذل العمر وصولاً إلى وفاته.

**والخلاصة** أن الشريعة أحاطت بالإنسان من حين ولادته، حتى وفاته بل قبل ولادته، وبعد وفاته؛ قبل أن يتزوج أبوه أمه، وحتى يستقر في الجنة، أو يدخل النار عياذا بالله.

**4- شمول الموضوع:** الشريعة الإسلامية تناولت كل صغيرة وكبيرة من شؤون الدنيا والآخرة حيث نظمت أمور العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات من أسرة ومعاملات مالية وقضاء وجرائم وعقوبات... ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الأنعام 38 .

## ج- اليسر ورفع الحرج:

اليسر ضد الشدة، ومعناه التسهيل، والحرج هو المشقة، واليسر ورفع الحرج من أبرز سمات الشريعة

الإسلامية التي لا تكلف الإنسان فوق طاقته، قال تعالى:﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ البقرة 185 **واليسر في الإسلام قسمان يسر أصلي ويسر تخفيفي:**

**1- الأصلي:** هو ما شرع من الأحكام من البداية في الأصل ميسرا لا عنت فيه كإعفاء الصغير والمجنون من التكاليف الشرعية، قال تعالى:﴿ **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها** ﴾ البقرة 286 . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : **رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل** رواه الترمذي

**2- التخفيفي:** وهو ما يحدث بسبب ظروف استثنائية، وأحوال تخص بعض المكلفين كقصر الصلاة الرباعية للمسافر،والإفطار في نهار رمضان للمريض والمسافر والخامل إذا خافت على نفسها أو ولدها.

**و المشقة التي تصادف الإنسان نوعان:**

**1- مشقة غير مقدور عليها:** وهي التي لا يطيقها المكلف وكذا التي فيها التكليف بالزائد عن المطلوب والمأمور به، مثل: دوام قيام معظم الليل، والوصال في الصوم... مما قد يوقع في تعطيل مصالح أخرى كثيرة كطلب الرزق والعلم وإهمال النفس والأهل، ومشقة إدراك الصلوات وأدائها في أوقاتها... وهي التي ترفع على الإنسان .

**2- مشقة مقدور عليها:**

وهي المرتبطة بسائر الأحكام والالتزامات الشرعية في مجال العبادات والمعاملات وغيرها من التصرفات، مثل مشقة الصوم وخاصة إذا كان في فصل الصيف ومشقة الجهاد في سبيل الله تعالى للدفاع عن الدين والوطن وقد يؤدي ذلك إلى ذهاب الحياة وزوال الأموال ...وهذه الأنواع من المشقة لا تنفك عن التكليف لا يكون تكليف إلا إذا انطوى على ما فيه الكلفة الشرعية والمشقة اللازمة.